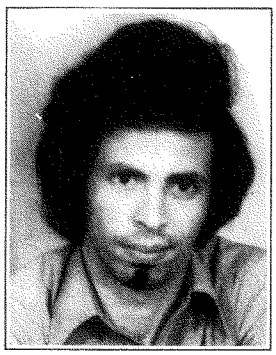

محمد عزيز الحصيني

رَقْصَةُ الذّئبِ في الكَفن

«...وَأملأُ حَنجرتي المتلهِّبةَ
بالثلجِ،
وأحملُ الشَّيطانَ
إلى روحي المسكينةْ..»
(هِيرمانْ هيسْ)

...وَبماذَا
تُنيحُ رؤاكَ عَلَى الأرْضِ
وَأنْتَ مُنْذُ الرَّجْفَةِ
الأولى تَحْملُ
أكفَانَهَا وَحيداً؟
كَيفَ قَضَمُوا
أكْمَامَ مَعَاطفهُم
وَبَكُوا عِنْدَ البرّجْ؟
أثْدَاء تَجْهَشُ
في قُمْصانها ثُمَّ
تَحْنُو أشْواقَها
إثْرَ كُلِّ مُنْعطفِ..
وَإثْرَ كُلِّ مُنْعَطفٍ ينتضي
هَذا القَوْسُ شَهْوَةَ
البَحْرِ فَتُقْبلُ الحُروفُ
سَاعيةً إلى وَكْرها
في جُفُوني.. هي سَاعةٌ
نُخطِّطُ فيها لانْقلابِ
المِزَاجِ.. هَكَذا
يَشُدُّ الرُّعاةُ أوْتارَهُمْ
إلى الغَيْبِ وَيَنسونَ
شفَاهَهُمْ في الحجرْ..
سَفائنُ تَمْضي
عَلى ريحٍ بَنْفسجيَّةٍ،
وسَفَائنُ تَؤُوب
عَلَى كَمائن الفراغِ.. وَأنَا،
مِنْ قناة المرْفأ،
سَأمضي بدوْري
إلى هذا الحفيفِ
المُشِعِّ مِنْ قُمْرةٍ
طَائشةٍ وَمن نَورجٍ
يَمْتشقُ حَواشِيهِ
السَّيسَبانُ، وستَمضي
مَعي نهايتي إلى الهَياكِل
الصباحيّة التي
طَالَمَا رَاوَدتْ خُرافاتِنَا
الرقيقةْ وطَالَمَا
اهْتَدَيْنَا بشرودِهَا
إلى الحجَارة المخنُوقَةِ
في المَاء..
كُلُّ الحيتانِ أوْدَعَهَا
المَجْرى صَوبَ عَيْنيَّ
فَلاَ أرى
سوى سَفائنَ
عَلى سفَائنَ
تَمْضي بي في العَراءِ
الرَّمْليِّ.. لماذا
تَغُضُّ الطَّرْفَ يَا نَديمي؟ لِمَاذَا
لاَ تحْملني على مَوْجَةِ الثلجِ
فَأتعرَّى مِنْ
نَشيجي؟
دَمَعتانِ تأتلقانِ
في الهواءِ، البليلِ: هُوَذا
شَبحي الأثيرُ
لَدَيَّ يُؤْويني
منْ صَخَبِ البنادقِ..
لَنْ تَرى سِوَى
مَلْهاتي تَعُضُّ
عَلى الحديدِ وتُقَوِّي
مَلْمَسَ المَسَاءِ المَحْسوبِ
بالثواني وَبآذانِ
مُراهنةٍ على عَويل الحَوامِلِ..
ذَاكَ الحَصَى في قاعِ
البئرِ يَضُمُّ صُورتي

في الظلِّ
إلى يَخْضُورها..
خُذْ حفنةً مِنْ رطوبةِ
الحَراقيصَ وَانزلْ
سُلَّمَ النَّوايا
حجراً،
حجراً،
وَاسأَلْ عَنْ أقداري
في أعْشاشٍ لَفَّتْهَا
فُتُوَّةُ الشَّجَرْ،
سَحَابٌ
أَمْ مَطَرْ،
مَا يفرِكُ جُمانَ الرّوحِ
وَينثرُ المكانَ
عَلَى عَسَلِ الذِّكرْ؟
هذهِ الخُيلاءُ خَتَمتْ
أَعْماقَ المَشُورة
بأَعْماقي، لِتَدلَّ خَيَّالَهَا
عَلَى الخَرابِ الطَّافِحِ
في شهقة الكأسِ
الأولى. كَيفَ نُحاوِرُ
الطَّقسَ باللَّذاذَةِ
وَالأسْطُرْلابِ وَنشربُ
في ورقٍ حَائلٍ ذاكرةَ
الرَّحيلِ؟.. سَأنسى
هذه الخَطْميَّةَ على أعتابِ
دَمي وَفي حَنجرتي..
كَيفَ يَعْشَقُ البُداةُ
ضَالَّتَهُمْ مِنْ فُرْجةِ البَابِ
حينَ يَلْتَمُّ وَجْهي
في سَحَابةٍ تخطو إلى
قَعْرِ المعاصي؟
هذي الريحُ تُخينةٌ
وَتُعريّ أوْجَاري، وَأنا
أَهْذي دُونها أُمْعِنُ
في تمثالي النصْفيِّ
في المرآة مبتلّاً
بسعُالي! هِيَ ذِي
اليَعَاسيبُ، هُوَذَا
الدُّلْدُلُ المُقامرُ.. هِيَ ذي
الأكْماتُ الضَّالعةُ
في الأرقْ.. هُوَ ذا الكَهْرَمَانُ
وَصِفاتُ اللوْزِ
على اليانسونِ..
مَنْ يشرُدُ حَظّي على
أحْفَادٍ مُتَخلِّجينَ
في حاراتهمْ كريشٍ مفتونٍ
بالنقوشِ، كصخورٍ
حليبيةٍ تُدَمْدِمُ فيهَا
الأبديّةُ بنواقيسهَا الحمْقاءِ؟!
مِنْ بعيدٍ سَيَدْلَهِمُّ
هَذا الندى مُرغَماً
ليَتعثَّرَ في خُيوطِ
المُؤامَرَةِ المَأثُورةِ
لِمَرْثَاتي.. مِنْ دَارتي
فِي السُّفُوحْ
تَخبُو القَصَباتُ في أنِينِي
وَتَتَهدَّجُ سَكينتي
بِالجُرُوحِ..
وَقَدْ يَحْتَطِبونَ لِي
البراري حُشَاشةً
مُتَلهِّبةً ثُمَّ
يَرْثُونَ لِمَاضيّ وَأترابِي
بَعدَئذٍ، بِعِصِيِّهِمْ
وَلهُاثِهِمْ يَتَرَجَّونَ إِلَيَّ
عَلى ضَرَباتٍ كَتيمةٍ
في شجَرِ السَّوْحَرِ
أوْ في شُحُوبِ العَراجين
يُغْضِي الصَّدَى الشَّهَويُّ
عَنْ أحْلامي..
وَبَرِ أيَّامي مِنَ
القُبَّراتِ وَبَنَاتِ آوَى
حِينَ تَهْتَاجُ
الوَصْيفاتُ فَيُسرِّحْنَ قَهَقَهَاتِهِنَّ
وَيُنازِعْنَ شَهْوَتَهنَّ تَحتَ
رِدَائي.. أَأقاسِمُ
هَذا الشَّجيَ صَوْتي؟
شَمْسي لآهثةٌ وَلِلْخَريفِ
رائحةُ المرأة حينَ
يَنْفخُ مِلْحَهُ في عَضَلِ
الفُصُولِ وَحينَ
تَخْتَصُّ نَارُ «هيرَاقليطَ»
بالقَنافذ..
مُنْتَدَبٌ لِلحَريقِ
هَوَايَ،، وزَمني عَدٌّ
هُرطوقيٌّ يُقضْقِضُ
أيّامي بمكَاييلَ مِنْ فِضَّةٍ ثُمَّ
يُلْهيني
عَنْ هَذي الزُّرقَةِ
العَطْشى وَعَنْ هَذا
الثَّلْجِ المُنْكَفئ
عَلَى رُوحي..